...«قَدْ أمسيْتُ راضياً عنْهُ»...

عن محمد بن عمر أن عبد الله ذا البجادين من مزينة كان يتيماً لا مال له ، ثم مات أبوه فلم يُورثه شيئاً ، وكان عمّه ميّلاً[1] فأخذه وكفله حتىٰ كان قد أيسر ، وكانت له إبلٌ وغنم ورقيق ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعلتْ نفسه تتوق إلىٰ الإسلام ، ولا يقدر عليه من عمّه، حتىٰ مضت السنوات والمشاهد كلها، فانصرف رسول الله ﷺ من فتح مكة راجعاً إلىٰ المدينة ، فقال عبد الله لعمه: يا عمّ ، إني قد انتظرتُ إسلامك ، فلا أراك تريد محمداً ، فأْذنْ لي في الإسلام.

فقال: والله لئن اتّبعت محمداً لا أتركُ بيدك شيئاً كنتُ أعطيتك إلاّ نزعتُه منك ، فقال ذو البجادين: فأنا والله متّبع محمداً ، وتاركٌ عبادة الحجر ، هذا ما بيدي فخُذه ، فأخذ كلّ ما كان أعطاه حتىٰ جرّدهُ من إزاره ، فأتىٰ أمه فأعطته بجاداً[2] لها فشقّ بجاده باثنين فاتّزر بواحدٍ ، واتّشح بالآخر ، ثم أتى المدينة ، فاضطجع في المسجد في السّحر ، ثم صلّىٰ رسول الله ﷺ ثم جعل يتصفّح الناس لما انصرف من صلاة الصبح، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «من أنت؟» قال: أنا عبد العزّىٰ.

قال: «أنت عبد الله ذو البجادين» ثم قال: «انزل منّي قريباً».

---

(١) أي: ذو المال.

(٢) أي: الكساء الغليظ.

فكان يكون من أضيافه ﷺ ويعلّمه القرآن ، حتىٰ قرأ قرآناً كثيراً ، والناس يتجهّزون إلىٰ تبوك[1] .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ولما كانت غزوة تبوك ، قمتُ من جوف الليل ، فرأيتُ شعلةً من نارٍ في ناحية العسكر ، قال: فاتّبعتُها أنظر إليها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ في حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدلّيانه إليه ، وهو يقول: «أدْنيا إليّ أخاكما» فدلّياه إليه ، فلما هيّأه لشقّه قال: «اللهم إني قد أمسيتُ راضياً عنه ، فارض عنه» وكان ابن مسعود يقول: يا ليتني كنتُ صاحب الحفرة!![2] .

أجل يا سيّدي يا رسول الله!

لم تفتح القلوب والبلاد بالعنف والسّيف ، إنما فتحتها بالحبّ واللين ، فهنيئاً لمن أعطيتهم تلك الأوسمة الرفيعة كذي البجادين رضي الله عنه:

وكيف تخافُ النفس من دونها الرّدىٰ ... وذاك النبيّ الهاشميّ خفيرُها
محمد المبعوث للخلقِ رحمةً ... نبيّ الهدىٰ هادي الورىٰ ونذيرُها
وشافعها في الحشر عند إلٰهها ... ومُنقذها من ناره ومُجيرها

* * *

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني: ٢/ ٦٧٣ .
(٢) عيون الأثر: ٢/ ٢٢٢ .